

حسين ورور

علا وحارس الماء



منشورات
وزارة الثقافة
ج ٠ ع ٠ س
دمشق 2002

حسين ورور

عُلا .. وحارس الماء

شعر



من الشعر العربي

«١٠٦»

الإهــــداء

إلى التي لم تندثر

في الشبهات

ولا تنحني

إلا لتقطع سِرّة الأرض

أنتِ من أول الكون

كان ما بيننا شرفةٌ وبيوتٌ

وبردٌ

وليلٌ

وحوتْ .

وانتبهنا إلى أننا سوف نشقى

فانكفأنا نموتْ

كنتِ نجمًا بعيدًا

ومن أولِ الكونِ جئتِ

إلى غابتي وجبالي

بكوكبةٍ من ضياءْ

فرَّ من سحرهِ في النجومْ

حينَ ضاقَ الفضاءْ
جئتِ من فضةٍ ذائبةْ
من لهيبٍ أليفٍ
على شكلِ أُنثى
لكيلا أحبَّ سوى امرأةٍ لاهبةْ
كان في جلدها ألفُ أُنثى
تعشّقنَ في قلبها امرأةً راهبةْ
تجلس العمرَ في معبدِ الذكرياتِ
على أملِ
أن تعودَ الأماكن لامرأةٍ غائبةْ
ويجيءُ لها فارسٌ من ألق
مهرهُ فاقعٌ بالبياض
قادمًا من شفقْ

قد يكون هو
أو أنا . . .

أو سوانا . . .

كنتُ أسبقَ منهم جميعًا

وتأخرتُ لكنّني جئتُ

أُطلقُ في نهركِ الأوّليْ

زورقًا من ورقْ

ثمَّ تأتيكِ أُمّي بأُضمومةٍ من حبقْ

بعدَ أن صرتِ حُلمًا لها

ظِلَّها

صوتها المخمليّ

ثوبها

عطرها العنبريّ

صرتِ وهجًا لتنّورها

والرغيف الشهيّ

قمرًا في ليالي الحصادْ

موقدًا في ليالي الشتاءْ

نسمةً في ربيعٍ نديْ

لا تخافُ الظّلال وأشباحها
إن سرتْ في مكانٍ قصيْ
أو مشتْ في ضبابٍ كثيفْ
صرتِ برقًا بأعلى يديها
صرتِ أسرارها
كي تشقَّ الغيوم
رعدها . . .
كي تهزَّ الخريفْ
ثمَّ يأتي أبي حاملاً حقله في يديهِ
ومحراثه البابليْ
والسنين التي سوف تأتي
بخيرٍ عميمٍ
يغازلها بالحداء الشَّجيْ
جئتِ حينَ الهوى كان تفَّاحةً
في يديكِ
وكانت بساتينكِ في يديْ

أزرع اللوز في تربها حالمًا
بالسنونو يبشّرني بالربيع السخيْ
كان حلُوَ البشائر
أن المحبّة أسمى . . .
ولمّا تناهبني الضوءُ
إذ فتح القلب نافذةً
كي يشمّ الهواءَ
تيقّنتُ أنّ الذي لايحبّكِ أعمى
جئت من أوّل الكونِ
خفاقةً كالصواري
وردةَ الأرضِ
لا جسداً من نجومٍ دراري
همسها من هديل الحمامْ
كرجها من رفيف الحباري
جئتني من ترابٍ ونارٍ وماءْ
من هواءٍ نقيْ

من غوًى أنثويّْ

كي يجيء إلى الأرض جيلٌ من الزهرِ
يمشي على قدمينْ
ويطير السنونو إلى عشِّ أحلامنا
وينامْ
ويسير الظّلال إلى حتفهِ
والظّلامْ
حين يحتكُّ دفءٌ بدفءٍ
وضوءٌ بضوءٍ
يطيب الهيامْ
هكذا جئت يا وردةً
جُرحتْ . . .
كي تقدّم فديتها من دماءْ
تشعلين القناديل ليلاً
وأنا ساهرٌ أشعل الانتظارْ

أصل الليل بالقلق السرمديْ
بالنهارْ
قمري كرةٌ لم تكن ساكنةْ
كي تعودي إلى حبّنا ساخنةْ
ويداهمني الحبُّ
إن شرَعَ القلب نافذةً للضيّاءْ
ويداهمني الموت
إنْ شرّع الحبّ نافذةً للغبارْ



نيسان ١٩٩٦ «أشرفية صحنايا»

حبيبتي ترفض الرَّقص في الحفلة

انتبهي إليَّ . . .

كفى سيوف الوقتِ

تحصد كلَّ هذا الياسمين

وكفى ملاك الشرِّ

يشرب ماتبقّى في الحدائق من ندى

وكفاه يسرق ماتبقّى

في الأُنوثة من نساءْ

* * *

انتبهي إليَّ . . .

فإنني وعلى مدى ألفٍ من الأجيالِ

أشقى في الدروبِ لأبلغ امرأةً لها طعم النبيذِ

ونكهة النعناعِ والزوفا
وبها من الأشواكِ مايكفي
لتمنع آثمًا من قطف وردتها
ولخطوها طرق تظلّلها الحياة
إذا غوتْ
ولنورها أفقٌ يراوده الخيالُ
على اكتشاف الكونْ
انتبهي إليَّ
فإنّني آتٍ لأرتاد الصباحاتِ
التي انتظرتْ على ألمٍ حضوركِ
بعد خاتمة الخرابْ
آتٍ لأطلق في مدى كفيَّ
سربًا من طيوركْ
وأذكّر الأنهار والغابات
بامرأةٍ لها شكل البلادْ
فَرَدتْ ذراعيها على عرض الفضاءِ

ليعبر الطير الطريد أو الجريحْ
من دمعها انهمرتْ على الأرضِ القرى
ولها مناديلٌ بأعداد النجومِ
لكي تلوّح للمراكب والسفرْ
هبَّتْ كنسمة سكرٍ في الضوءِ
بادلت الغيوم بصحوها
ستظلّ في مرآتها الأعشاب زاهيةً
ونور البدر يخطف وهج فضّتها
ليكمل دورةً أخرى . . .
في كلّ أشياء الوجود أراكِ يا امرأةً
تخالف طبعها
وتهيج مثل مدينةٍ أكلت بنيها
حين لم تأكل بثدييها
وتشكّلتْ منها الشوارع والأزقة
والمدارسُ والبيوتُ
وظلّ سيّدةٍ لها بحرٌ وشطآنٌ

وأنهارٌ ووديانٌ وصخرُ
ومنائرٌ كيلا تضيع مراكب العشّاقِ
في عرض البحارِ
وشرفةٌ فيها مراياها
وكرسيّانِ من قشٍّ
وقنديلٌ يساهرنا
وعصفورٌ يبدِّدُ وقت وحشتنا
ومنشفةٌ معلقةٌ
على كتفِ الجدارِ
لنمسح الدمع الذي ينثال
حين تشبُّ نارٌ
في دماء قلوبنا . .



بيروت ١٩٩٨

ظــلال

جاء الشتاء الآن محتشداً

بيرقٍ صبيةٍ

نشرتْ على طرقات هذا الكونِ

كلّ ظلالها وطيوفها

والليل يحمل برق عينيها

إلى أفقٍ بعيدٍ

يأمر الطرقات أن تعطيهِ

صوت الريح من خطواتها

وحفيفها

نسي الشتاء على بياض ثيابها

لون السحاب

وموج بسمتها . .

وما قالته عيناها

طواهُ الغيم مكتئبًا

ليعطي الأرض حصّتها

من المطرِ الحزينِ فضيّعتهُ

وسال من بين الأصابعِ

دون أن ندري

فلا أعلى من امرأةٍ سواها

راودتْ روحي

التي هجرتْ مغارتها

لتسكن في فضاء اللّهِ

دوني

ما سواها

شاغل القلب الذي اكتملت مرارته

بل اكتملت ضلالته

وكدت

أكون أعمى

والضلالة تتّقيني!



دمشق ١٩٩٧

لغةٌ أنت غير اللّغات

لغةٌ أنت غير اللغات جميعا

وما نزلتْ في كتابٍ ومعجمْ

فيكِ رائحة الأرض والبحر أنتِ

فلا تغضبي

منهما أنتِ أقدمْ

فيكِ ما يمنح الماء والعطر

فيكِ الزمان تغنّى

ولم يتلعثمْ

جسد يتندّى بسحر الأنوثةِ

لا يتلوّى هباءً فيغتمْ

تشرب الياسمين صباحاته

ليظلّ شفيفًا به الشمس تهتمْ

شعركِ الغجريُّ حريرٌ وسحرٌ حلالٌ

ونعمى بها الليل ينعمْ

ويوزّعه في الصحارى ظلالاً

ليغدو بها العيشُ أهنا وأرحمْ

جيدكِ من طحينِ الأرزِّ

ومن سكّرٍ لا يذوبُ

كما نتوهّمْ

ويداكِ جناحان من لهفةٍ

لعناقِ المدى

والمدى يترنّمْ

وشموع أناملكِ

موطن النورِ

يشعلها قلب ملهمْ

كم طويتِ بها للكلامِ شراعًا

ليأتي على يدكِ الحكم مبرمْ

غيمةٌ أنت لا كالغيومِ

وحلّت عليّ لتمطر في الروحِ والقلبِ والدمْ

أيُّ حوّاء أنتِ

وكيف تخبّئ رمّانها في وريفٍ محرّمْ

باخضرارٍ أليفٍ

وقدٍّ شفيفٍ يريني ربيعًا

وما فيه مبهمْ

ويبوحُ بسرِّ الهواءِ الذي

لا يعلّم أشجاره ما تعلّمْ

صوتكِ المخمليّ الشجيّ

يساكنه الحزن والهم والغمْ

ألف ساقيةٍ فيه تبكي

بمنعطفِ الماءِ

ولم تتألّمْ

ويداكِ بياضهما كالثلوجِ

وماؤهما أبداً ماء زمزمْ

والنساء قد اختُصرتْ

فيكِ أنتِ

ونادت دمي لهواكِ المعظّمْ

يا نبيذاً يُعتّقُ منذ الخليقة فيَّ

لأُهدم يوماً

ويوماً أرمّمْ

وأبقى مشاعاً لقلب النساء

وأبقى جريحاً

وأبقى متيّمْ

لو نكون معاً كالفراشةِ والنارِ

عند احتراقٍ محتّمْ

والمسافة ما بيننا في يديكِ

لنقطعها آمنين

فنسلمْ

أو نعلّقها في الفراغِ

ولا جنّة في نهايتها

لا جهنّم . . .



٢١ تشرين أول ٩٩٨

أشرفية صحنايا

طريق الأرجوان

رحماك يا اللّه . . .

كيف خلقتها امرأةً

ولم تتركها في حالاتها الأولى

الزهورُ

الوردُ

أو ما تشتهيه العينُ

من جنّاتك الخضراء

منذا يساعدني لأبلغ ظلّها الملكيّ؟

قد أحتاج معجزةً

وقد أحتاج أعمارًا لأبلغَ

وصفها الكليّ
آلافًا من الصفحاتِ
قاموسًا لكل لغات أهل الأرضِ
من إنسٍ وجنٍّ
لأنها لم تُختصر شكلاً جماليًّا
ولم تكن أنثى فحسب . . .
تكرّرتْ في الكون أطيافًا
وأنواراً
وأصداءً
هنا وهناك حتى لاتظلّ وحيدةً
خلقتْ لتشربها العيون الظامئات
إلى المدى وإلى الجمال المطلق الفتّانِ
لا معنى لكلّ أنوثةِ الأشياءِ
لولاها
مشاع كلّها للريحِ

للأزهارِ

للأطيارِ

للأنهارِ

أو قلْ باختصارٍ للحياةِ وللجمالِ

وللطبيعةِ

ليست الأمواج إلاّ من

هبوب ثيابها الزرقاء

ما برق السماء سوى التفاتتها

الحميمة للسماء

فمن يصدّق أنّها نار

على شكل امرأةْ

واللّه شكّلها بمفردها

لتبقى خارج الأسرابِ

أبعد ما تكون عن النساءِ

ولم تكن أشياؤها من غير

وهجٍ
ثم لم تخترها بل جاءت لها
طوعًا
وحطّت عندها . .
بدءاً من الفستان حتى
ميل كحلتها
وشكلة صدرها
الألوان فيها لم تكن مألوفة
من قبل
فيها من وجوه الناس ما يوحي
بأن الأرض أحلى للحياة
لترتدي ذلك الجسد الذي
اتّفقتْ على تشكيله
امرأة الندى والحبّ والذكرى
وآدمها الذي رغب البقاء على

الفناء لأجلها . .

مازلت أذكر كيف من مليون عامٍ

كان يحتشد الندى والياسمين

وما تعتّقه ليالي الحبِّ

من سمرٍ

لتأتي

فهي ماجاءت مبكّرة إليّ

وللحقيقةِ كنت أبصرها مبعثرةً

هنا وهناك ملء الكون

في برقٍ

وفي رعدٍ

وفي برٍّ

وفي بحرٍ

وفي شمسٍ

وفي قمرٍ

وفي ليلٍ

وفي فجرٍ

وكم كانت على أطيافها

تتوالد امرأةٌ

أحاولها فتهرب في الفضاءِ

وفي النساءِ

ونصف قرن في التبصّر والتكهّنِ

في الوجوهِ وفي الطبيعةِ

في العيونِ وفي الحصور

كم اختبرتُ من الإناثِ

بكلّ ما امتلكتْ حواسيَ

في التذكّرِ

والتمعّنِ

والتلمّسِ

والتذوّق

ثم أرجعُ من جحيمي َ للفراغ المرِّ
كم واجهت من عنف العواصفِ
كم تكوّم من غبارٍ
في زوايا الروحِ
ثم وجدتها طيفًا سماويًّا شفيفًا
إن أطلّ بها ربيعٌ
كلّ أسراب السنونو
تحتفي بقدومها
لتبشر الدنيا
بأن الزهر يكسو الأرض،
والعطر الذي سيفوحُ
في الكونِ الفسيحِ
وفي براري اللّهِ
من وردٍ تخبّأ بين نهديها
وفي دمها . .

في فيئها كم يستْظلُّ من الهجير

الصيف

أعلى من يديّ ومن عيوني

لو أُحاول نجمةً

في شعرها تغفو

يكون العمر قد ولّى

فأشعلُ شمعةً

وأبادلُ الشمع المقدّس

مهنة الذّوبانِ

أخشى لحظةً أُغرى

لألمسَ شعرها الناريَّ

كم أحتاج من أيدٍ

لأُسكتَ طفلة الشهقاتِ

في روحي

وكم سيشبُّ فيَّ

من الحرائقِ
لن أميل إلى هوايَ
إلى الفتونِ . . فكيف لا
وهناك جسرٌ واحدٌ
يمتدُ من عينيَّ لامرأةٍ
تقود العاشقين إلى الجنونِ . .



دمشق ١٩٩٨

برجها .. سابع المستحيلات

قدمتْ ليمتلئَ النهارُ

ولم تكن إلاّ التي كانت تطوفُ

العمر في قلبي

وتمضي عبر أوردتي

وتركض كالغزالةِ في دمي

ماذا أقول عن البياضِ

وأقصدُ الجسد الذي شفّتْ

خريطتهُ

لتتضّح البلادُ جميعها

أو ما يخايل في عروق دمائها

من شيطنات طفولةٍ

عشقتْ شقاوتها

لتعرفها المدارسُ

والملاعبُ

والأزقّةُ

والحدائقُ

كم على الكفِّ الصغيرةِ تنحني

لتذوب فيها

أو لتزرع وردةً في شعرها

لتصير سربًا من فراشاتٍ ملوَّنةٍ

وتجترح الفراغَ

بمعجزاتِ أناملٍ عشرٍ

تشير إلى النجومِ

لكي تضيءَ الليلَ

أو تمحو بقايا الليلِ

عند الفجر

من بين الجفونِ

وكم أتتني كي تضجَّ وسادتي

بالعطر من أنفاسها

أو بالياسمين إذا انحنت فوقي

لتمسح عن جفوني

مايهيمن من نعاسٍ دونها

وكم احتضنتُ طيوفها

لتكونَ . . . . .

نجمة غوطتي

وسماءها

ومدارها

كانت تهبُّ كما النسيم

على السواعدِ في الهجيرِ

على الدروبِ

وفي الحصادِ

وفي نفوسِ المتعبينَ

نساء هذا الكون

كنّ يغرن منها . . .

كيف لم تلد النساء مثيلها

بدء الحكايةُ أنّها من قمقمٍ جاءت

ومن برجٍ

تحصّن في أعاليها

ليسمح للبياض بأن يمرَّ

من الشوارعِ والقناطرِ

والبيوتِ

وكيف هذا البرج لايمشي . .

كم استغربت . . . !

كيف البرج لم يتعلّم الطيرانَ

حتّى الآنَ

كيف وألفَ كيفٍ؟!

كيف لايهتزّ لو لمستْ حجارته

أو كيف لاينهارُ

إنْ كُسرت

مراياها . .

وتبتدئُ الحكاية من هنا

لا أرجوان سوى لها

لن يفتدي أبداً سواها

الأرجوان . . .



كم قلت للنار اهدأي ..

سيروا على خيط الدماءِ

الأرجوانيّ الطويلِ

فتبلغوا قلبي . . .

ولا أقوى على الجريانِ

أذكرها فأسبح في دمي

أو أنتهي حلمًا جميلاً

للشآم وأهلها

لشوارع العشّاقِ

في أحياءِ رغبتها الحميمةِ

للخروجِ من الشرانقِ للحريرِ

وربّما انطفأتْ على سمري

لياليها
فأرجع للشرانقِ
أو أجفُّ على ترابِ الشّامِ
نهراً ثامنًا يبكيه حور الغوطتينِ
فكلّ جوارحي في الغيمِ أفردها
لتشعل برقها فيها
وتعبرُ من شقوق القلبِ
إن ألفَتْهُ منغلقًا
وتعبر من زجاجهِ
مثل ضوءِ الشّمسِ
ترفعُ في العُلا قنديله الفضيّ
حتّى باسمها أمشي
وأخطو واثقًا
وسنونوات الكون
أحملها على كتفيَّ أوسمةً
وزهر اللوزِ يضحكُ
في بساتيني

وأسراب من الأطفال جاؤوا
يرسمون علامة النصرِ
المؤكّد في جبيني
تخطف القبلاتِ من شفتي
وتسكن في عيوني
ثمَّ تزرعني البلادُ حديقةً
في الدورِ والشرفاتِ
ترفعني البحارُ
منارةً في الليلِ
ما بال الأميرةِ لا تفكُّ أسيرها
في شرفةِ الرّيحِ التي هبَّتْ
محملةً بشوقِ ربيعها للماءِ
ما بال الأميرةِ ذوّبت شمعي وأحرقت المدى الممتدِّ
من وجهي إلى حلمي
أتعدّني يومًا أصابعها
وتختصر الرجال بشهريارٍ
بعد عودتها . . .

يكون أنا الوحيد ولا سوايا
من يفيضُ على ضفافه ماؤها؟!
كم قلتُ للنارِ اهدأي
ما بين فتنتها وما بين انبهاري
قد تضيع الدرب من قدميَّ . .
كلُّ فراشةٍ طيرتُها
لتجوب يومًا في حدائقها
على قنديلها احترقتْ
وكلُّ طيور قلبي
غادرتْ أغصانه
لتحطَّ في ذُرَةِ الحقولِ
ولا أقول على السنابلِ
أو على الجسدِ الذي لا ينتهي
فيه البياض إلى الحليبِ
أو الضياء
لأدَّعي أنّي أرى
وأُميِّز اللون الذي يمشي

علی قدمين من برقٍ
ويغرق في اللهيبِ
ولا يسلّمني مفاتيح الحقيقةِ
كي تظلَّ طفولة الأشياءِ أعلى
بل وأحلى من منادمةِ الحبيبِ
مع الحبيبِ . .
الآنَ أُدركُ أنَّها سحرٌ
وبعدٌ أُنثويّ رابعٌ بل مطلقٌ
لأظلَّ أركضُ في السفوحِ
ولا بلوغَ إلى ذراها
أو إلى أعماقِها
وأظلّ في دوامةٍ
ويصيبني فيها دوارٌ
أو أعود من المتاهةِ
فارغ الكفينِ
أو أعمى . . .
يظلّلني جمالٌ لا حدودَ لسلطتهْ . . .

غابت ليلحقَ ظلَّها قلبي
وتشعلهُ
بنيرانِ الجوى
ودمشق ذاهلةٌ
وذابلةٌ
يراودها البنفسج أن يغطّي وجهها
وأنا لأيامٍ أرى الأشياءَ
باهتةً
ولا سمرٌ بليلٍ
لا مناجاةٌ لأقمارٍ تساهرها
ولا شامٌ تزيّنها
وما غيرُ المشوق تبدّد الغصّاتُ
والألم الدفينُ صهيله المجروحُ
لا برجٌ لتصعدَ
حيثُ عرشِ مليكتي
لا موكبُ الأشجارِ في الطرقاتِ
يعزفُ للمليكةِ

أو يحيّيها
ولا أطيارُ قلبي
اليوم أرسلها لتشدو
فوق شرفتها
ولا عصفورةُ الأحلامِ
تنقر في الصباحِ
زجاجها الصافي لتنهضَ
لا يدايَ الآن تغسلُ وجهها
بالعطرِ و«المازهرِ»
لا عنّاب يأتيها سلالاً
من أقاصي الكونِ. لا كرزٌ ليأخذ لونه من حمرة الخدّينِ
أو من خمرة الشفتينِ
لا أزهارُ تأتيها ولا وردٌ
ليسرقَ من رضاب مليكتي
بعض الندى
كي يستحمَّ من الغبار
وأيّ نحلٍ سوفَ يأتي

من جبال الريحِ
نحو رحيقها الشاميِّ
حتى يدّعي عسلاً ملوكيًا
وأيّ جداولٍ مرَّتْ
على أمواجِ ضحكتها
لتسكبَ ضحكةً منها بثغرِ الماءِ
حتى تدّعي موجًا جميلاً
كيف خلّفتِ المدى الممتدَّ يكسوهُ
الشحوبُ
وقامتي في الريحِ
بين الانتظار المرِّ والأشواقِ
يلفحها على ألمٍ لهيبُ
تميلُ قلعتها على جرحي
تُيمّمُ شطرَ شاطئكِ الجميلِ
لكي تصلّي بينما قلبي يذوبُ . .
الآن كلُّ الأرجوانِ
على دروب مليكتي

ليكون للخطوات ظلٌّ
في المكان وفي الزمانِ
تكون شمسٌ كلَّ صبحٍ
كي تضيءَ لها النهارَ
يكونُ للأقمارِ والسمّارِ ليلُ
يكونُ حبٌّ كي تعيشَ ولا تملُّ
وذكرياتٌ ليس يمحوها الزمانُ
وذكرياتٌ تضمحلُّ
تكون في يدها زهورٌ لا تموتُ
وسيف مجدٍ لا يُفلُّ ..



دمشق ١٩٩٧

لا ذنب لي ..

رتّبوا لمليكتي أفقًا جميلاً

لا تغادره النجومُ

وهيّئوا عرشًا لأجمل غادةٍ في الأرضْ

وتزينوا ببهاء شمسٍ

لاينازعها ظلامٌ

أو دخانٌ

أو غيومُ

وحينَ أسمعُ صوتها ورنينهُ

مَن ذا يلملمني من الدربِ الذي

فيه انتشرتُ

من يؤلّفني هنا وهناكَ

حينَ تهلّ

ما قالته لي عند الوداعِ فقدته

الأقدام صبُّت في الرّصاصِ

وفوق صدري صخرةٌ . . . مادت

وغصّات حجارتها انتهت

في عمق حنجرتي

وفي أُذنيَّ طبلُ

مواجدي أعلى من الفرح المقيمِ

وصورتي في الماءِ لم يكسرها موجٌ .

أو صخورٌ

أو طحالبُ

لم تكن من قبل مملكة النّساءِ

سوى صفيرٍ عابرٍ لقطار هذا العمرِ

أو شجر على درب الفصولِ

الآن رفّة هدبها

فعل لزلزالٍ :

فكيف تردُّ سهامَ عينيها
إذا التفتتْ إليكَ
وكيف لا تهوي إذا نفرت
أو انقضّتْ عليكَ
وكيف لاتمسي كما الفولاذِ
لو لمستْ يديكَ
وكيف لا تغدو كينبوعٍ
إذا عصرت صخوركَ
أو نبيذاً حين تملأ من كرومكَ
في خوابيها العنبْ
أو كيف لاتغدو كبحرٍ
حين تسبح في مياهكَ
كيف لا تخضرُّ لو فردت ضفائرها

على واحاتك التعبى غصونكَ

في المدى شهبًا

إذا أذكتْ صهيلكَ

في مداها

كيف لم تمطرْ إذا مرّت على يدها سماؤك

أو إذا مرّت رعودكَ

أو غمامكَ

من فضاء عيونها؟

مازلت في قلبِ الصلاةِ

لينحني أُفقٌ

ويصغي لابتهالاتي

ويغفرُ أنّني لا ذنب لي

لا ذنب لي . . .



دمشق ١٩٩٧

عيناها .. هذا البحر

يا ليتني وحدي لأُفصح أو أبوحَ
بما يجول بخاطري
لكنني لا أستطيع وروحي العذراءَ
سلّمتِ المدينة دون حربٍ .
للمليكة كي تعيش على هواها . .
لن أراودها على مفتاحها
وسلاحها
وثغورها
وجسورها
لتكونَ آمنةً
فحقّيَ ليس أكثر من أسيرٍ .

لا يرى أبدًا سوى سور المدينةِ
أو أعاليها
أو البرج الذي لاتنحني في ظلّهِ
أبدًا
لغير شروقها وغروبها
يكفي بأنَّ عيونها تحكي بصمتٍ
قصّةَ النارِ التي اشتعلتْ
بغابة روحها
يكفي لهذا البحر - غيناها -
بأنّه لايردّ زوارقي
والموجُ فيهِ مهيأٌ
ليكون لي في الجزر أو في المدِّ
نبضًا في حنايا القلبِ
أو زوّادةً للروحِ
يكفيني بهذا اللاّنهائيِّ . . الرهيبِ
غموضه السحريّ

كي أمضي لأسري
لا قيود ولا حدود تذلّني
يكفي لأسئلتي بأنّ هياجه
يعفيه من طرح الشبّاكِ أو الشراكِ
لصيدِ ما فيه من الأسماكِ
والمرجانِ
والصدفِ الملوّنِ
والنُّوى
يكفي لأسئلتي بأنّ شراعها
أعلى من الزلاّتِ
والأخطاءِ
والأخطارِ.
والصيدِ الغريرِ أوْ المبكّرِ
في البحارِ . . .

فكلُّ أسئلتي أُخبّئها

بهذا الأزرق العالي عن الشّبهاتِ

جنيّاتها سرّاً يَطفْنَ على الشواطئ

أو يغصن ليختبئنَ بصخرةٍ أو مركبٍ

أو في ظلالِ منارةٍ

لحراسةِ الكنزِ العظيمِ

ولا أزال على الشواطئ

بانتظارِ الريح أن تهدا

ويهدا العصفُ والأنواءُ

تتّضحُ المنائرُ والجهاتُ

وأبدأُ الترحالَ نحو جزائرِ المرجانِ

والشّمسِ العصيّةِ

والثلوجِ البكرِ

أخشى أن يعاكسني الزمانُ

قبل رحيليَ المأمولِ

أو يطوي شراعيَ أو يمزّقه

ويغرقُ مركبي

وأصيرُ بعضَ غبارِ هذا الكونِ . .
لستُ بمفردي
لأقول : إنَّ الريحَ لا تجري كما أهوى
ولستُ بعرضِ هذا البحرِ قرصانًا
لأفعلَ ما تشاءُ رغائبي
. . إن لم يعد ليديَّ
مفتاحُ المدينةِ

كي أظلَّ كما أنا حتّى يوافيني
سريرُ الموتِ
لا خشبُ الصليب اخترته ليديَّ
لا مسمارهُ الدمويُّ
يحملني كما الثوب الرقيعِ
على يديه وفوق حبلِ غسيله
المنصوبِ تحت الشمسِ
لستُ بمفردي

لتضجَّ أسئلتي

وأخرجَ من جنوني

لستُ فاتنها لأُمعن في فتوني

أو لأخرجَ من فتوني

لم يراودني إلى شكٍّ يقيني

أو ظنوني

لم أقل إنّي ملاكٌ

أو إلهٌ

ثمَّ أسقطُ من عيون العاشقين

ومن عيون مليكتي أو من عيوني

ها أنا بشرٌ

ولكنَّ الهوى يختارني لفضائها

أرتادُ زرقتها

وأقطفُ من بهاء جبينها

وأرصّعُ الأيامَ والأحلامَ

والأشجارَ والأنهارَ

والأشواقَ والعشّاقْ

وأكون حارس شمسها

وأكون شمعة عرسها

لأذوب بين الوردِ والحنّاءِ

والضحكاتِ

والآهاتِ

والقبلاتِ

والرعشاتِ

والليل الذي لاينحني للصبحِ

إلا مكرهاً

وأكون حارسَ دفئها لمّا يجنُّ بها

الشتاءُ

أكون حارس حلمها

لمّا تجنّ الذكرياتُ

أكون أوفى الخلق

لامرأةٍ يغالبها الحياءُ

قد اصطفاها الله رمزاً للجمالِ
لأنّها كالوحي منزلةٌ لهذا الرّمز
كي أحكيه في لغةٍ
وأن أرويه سراً
ليس يعرفه سوايَ
وأن يظلّ النحلُ
- نحلُ الرّوح - يمضي في براريها
ليصنع شهده الملكيّ
مابشرٌ أنا إلاّ لأمضي
في بهاءِ فتونها وجمالها
. . . وكمالها
حتى النهايةِ
ما «اختبرته بالحواسّ» وما خبرته
كان مجتَزَءاً ومقتصراً على عينيّ وحدهما
فما يوماً أصختُ السمع للأنهارِ
تجري في عروق مليكتي

لم أصغِ يوماً للنداءاتِ البعيدةِ
في دماءِ وريدها
لم أصغِ يوماً للضجيجَ الجاهليّ
وللوجيب «الخارجيّ»
عن الهوى وعن الهدى
في قلبها
لم أصغِ يوماً للحفيف الشاعري لحورها
أو للأغاني في حقول أرزّها
لا الانتظارُ المرّ أرهقني ويرهقني
ولا النظرُ الطويل إلى عيون شموسها وبياضها . . .



دمشق ١٩٩٧

لا ضفاف تحدّها ..

برجٌ ونافذةٌ
وصمتٌ شائكٌ
وسكونُ
لتمرَّ عاصفةٌ مخبأةٌ
بغابةٍ لهفةٍ
وترقّبٌ وظنونُ
والليل يأتي غامضًا بوشاحِ أنثى
صاغها الخلاّقُ ناصعةً
ككلٍّ حقيقةٍ كبرى
وأخفاها
لتبقى سرَّ حوّاء التّي لا تنتهي

أو سرّه

في خلقٍ أجملَ مارأت عينٌ

بهذا الكون

ممّا كان أو سيكونُ

برجٌ لأصعدَ نحو هذا السرِّ

عاصفةٌ مخبأةٌ بأعلى البرجِ

قد أهوي على وجهي

إذا هبّتْ

وقد تجتاحني

أو قد تبعثرني بحقلٍ من ثلوجٍ

كي يلملمني البياض

ويرتديني

أو أذوب على الثلوجِ

مع الثلوجِ

نصيرُ نهراً

لاضفاف تحدّهُ

ليقالَ: إنّه نهرها المجنونُ

برجٌ وعذراءٌ

على سبعٍ طباقٍ

فيه لاتلوي أعنّتها يدٌ

لا تنحني إلا لتشربَ

من مياه النبعِ أو تصغي لصوتِ الماءِ

في الأعماقِ

لم يرقص بها نبض لغير المجدِ

غذراءٌ . .

ومنذ طفولةِ الأشياءِ

كسّرت المرايا كلّها . .

كلّ المرايا

لا تضيف لحسنها

شيئًا

بلى . . .

إنّ المرايا كلّها تحتاج فضتّها

وتحتاج انعكاس ضيائها . .

سبحانه . .

حين اصطفاها أزهرت أشجار قلبيَ

من جديدٍ

والخريفُ معاندٌ وحرونُ . .



الكفرون - ١٩٩٨

وردة الأرض

يا دمشق . . . . .

أيا رحلة الزهر نحو الأعالي

لتولد أولُ زهرة بابونجٍ

في سطوح البيوتِ

وأولُ حوريةٍ

تتألّق في الدّور والشرفاتْ

والتفاتتنا البكرُ

نحو المدى اللاّنهائيِّ

لنحضنَ هذا المدى

ونعلّمَ أولَ عصفورةٍ

كيف تأتي بقشٍّ وتسكن تحت السقوفِ

وفوق القبابِ

دمشق . . .

أيا وردة الأرضِ . . .

واللغة البكرِ

والقبلةِ البكرِ

للباحثين عن الدّفء في كوكبٍ موحشٍ

وهوانا المبكّر أو سمّها ماتشاءْ

وردة الأرضِ أو قمرُ الأنبياءْ

جنّة الربّ تمتدّ فينا لنحيا بها آمنينْ

ونجوم يدينا لتحرس أحلامها في المساءْ

صاغها الرّبّ من نوره السرمديٍّ

وصاغ المدى شرفةً لفناجين قهوتها

حين تنهض من نومها

تنثر النعميات بسبعة أنهارها

لتطلّ على العالمين

وتشرّع أبوابها للبهاءْ

حطّ في كفّها قاسيونُ
ليغفو على صدر عاشقةٍ
من وردٍ وماءْ
آمنٌ دوحها للعصافير
إن هاجمتها البواشقُ
أو ضاقَ فيها الفضاءْ
عسلُ الحبّ يجنيه نحلُ يديها
ويسكبه في الفؤادِ شموسًا
لتغمر عاشقها بالضياءْ
خرجتْ من حمى غوطتيها
إلى ميسلونْ
تتفقّد لون زنابقها
وتزيل الغبار عن العاشقينْ
وتحيّي شهيدًا سنابك أدهمهِ
ماتزال على الصخر
تقدح نارًا وتعطي رنينْ

تتقاطعُ عند جراحهِ
كلّ الرؤى والنبوءاتِ
ويبرق في ظلّه
كلّ سيفٍ تجرّد من غمده
في الملأْ
يسندُ الرملَ والملحَ والماءَ في مأربٍ
قادمٍ ويوحّد أيدي سبأ
قاسيون يسائلها في الهوى أو يغار:
أهي أنت التي يرسل النهر لي في
الصباحاتِ عصفورةَ النهرِ
والسمسمُ الذهبيّ بمنقارها
لتحطَّ على شجري وتصلّي؟
أهي أنتِ التي أشعلتْ في
المساءاتِ مصباحها فوق رأسي
لتسهرَ حتى الشروقِ لأجلي؟
أهي أنت التي أرسلتْ في النهاراتِ

أطفالها ودفاترهمْ
لأعشّبَ أحلامهمْ
من زؤانِ الحقولْ؟
أم طيوفكِ ياوردة الأرضِ جاءتْ مسربلةً
بظلالِ الحياةِ
التي لا تطيق الذبول!؟



دمشق أيار ١٩٩٦

علا وحارس الماء

للحمام الذي يتكاثر في شجر الشوقِ
يهدل مجترحًا أيّ معجزةٍ ليطير
ويفلت من أفقٍ ضيّقٍ
لمدى لا يرى فيه إلاّ علا
تتقاسمها في الأعالي الثلوجُ
وتشرب ماءَ يديها الينابيعُ
يغدو البياضُ مشاعًا
قليلٌ من الدربِ يفضي إليه
فيقرأ في دفتر الماءِ:
كانت حبيبته بانتظارِ غدٍ
فيه يأتي على فرس النّارِ
ذاك الأميرُ الذي شاغلته الهزائمُ

أكثر من نصف قرنٍ ولم يترجّل
إلى أن هوى ،
فارتدتْ ثوب ساحرةٍ تسهر الليلَ
حتى انهمار الضياء ليصحو على نورها
والنبيذ الذي ألف عامٍ تعتّقه
في خوابي معابدها
سفحته على دمه
ليكونَ الوريثَ الَوحيدَ لمملكةٍ
هي فيها مليكتها ورعيّتها
هي دستورها
وهي رايتها في الأعالي
وهي أسوارها
والجيوش التي تدفع الموت عنها
هي من تتعلّم منها العيونُ
تهجّي الجمال الذي تتلعثم فيه المرايا
الجمال الذي لم تقله اللّغات
وكم كان سراً يردّد ما قد تبوح بهِ
أو يقوله سرب سنونو

يحطّ على نور سلكٍ
يُمدُّ على غفلةٍ منه ما بين صوتيهما
ليكون الحريقُ
فتمضي إلى الجبِّ دون بصيصٍ يشير لها
وتعودُ من الخطبِ دون قميصٍ يشير إليهِ
فيبدأ منها الطوافَ ويتلوَ تكوينها
ألف عينٍ بقلبهِ تسهر فيه
وتقرأ أحلامها ورؤاها
وليس يشاغله عن هواها سواها
وكيلا يظلَّ سوى حبّها في دماهُ
محا ظلّها ومحاها . . .

. . . .

للّتي ليس لي غير ما تركته على الروح
من خربشاتٍ
وما تركته ضفيرتها من هبوبٍ
على شرفات دمي
ليس لي غير حقّ الزفير
الذي يلطم شرفتها

في عبوريَ بين المحطّات
وبين هديرٍ يكرّر في البحر أسماءها
وأراها فتمتدّ منّي يدٌ
وتلمس طيفًا
يحطّ حمامٌ ببريّة الرّوحِ
يأتي هواءٌ من البحر بأوراقها
لأرى ما يخربش أولاد أحلامها
في المساءِ
أرى مارجًا يشعل قنديلها
ويرافق أطيافها في الحقولِ
ويفتح قمقمه
لترى كيف أحرس ماء ينابيعها
وأغني وحيدًا على ضفة النّهرِ
منتظرًا أن تطلّ سنونوةٌ
وبمنقارها زهرةٌ من ربيعٍ
سيأتي خصيبًا
فكلّ البقاعِ التي تركتْ بورها

لرياحِ الخماسين ذات فراقٍ

تداهمها لعنةٌ من سماءٍ

بطوفان نارٍ وطوفان ماء

وفرّق بحرٌ من الطمي والويلِ

ما بين نوح ارتباكي وبين مراكبها

يومها لم تُشقّ المياه بأيّ عصا

فالنبيّ الذي فيَّ كان بخيلاً عليَّ

وليس معي غير لوح الوصايا وضاعَ

ولم يبقَ لي غير خيط سرابٍ

أشدّ عليه يديَّ

أنا ضيّعت غرناطتي يومها وبكيتُ

وما زلت أبكي عليها . . .

من يميّزُ بين حقول الأرزِّ

وبين سواعدها؟

من يميّز بين الشروقِ

وبين ابتسامتها حين تأتي؟

وكم يتهيّب حور الضفافِ

إذا ما تناهى له أنّها
ستشمّر عن حورها
للنزولِ إلى النهرِ؟
كم سوف تشهق أمواجه وحصاهُ
وكم ستُدارى لكي لايذوّبَ سكّرها النهرُ
وهي تغسل قلبَ المياه برغوتها
حين تخرج كم ستحيد عن الدربِ
كيما تمرّ ظلالٌ؟
وكم ستغار الورد إذا مارأتها؟
وكم تتنهّدُ حين تراها النّساءُ
وهنّ على جمرهنّ بأعلى انتظارٍ
ليفنين فيها
وكيلا يظلّ الوجود بغير نساءٍ
وكي يستمرّ بأحلى النساء؟

❖ ❖ ❖

دمشق ٢٠٠٠/١/١

جداً تأخّرتِ...

جداً تأخّرتِ . . .

وعذر السيل أنّه لا يجيء متى يشاءْ . . .

فلقد تداعى ما بنيته فوق ملحِ الوهمِ

طيلة نصفِ قرنٍ من قصورٍ

عند أولِ زخةٍّ من برق عينيكِ بذيّاك المساءْ ! !

فجرفتِ ماضيَّ إلى بحرٍ بعينيكِ

تفجّر من جديدٍ تحت سطح الماءْ . . .

فجرفتِ في أمواجِ هدبكِ

ما خبرتُ وما عرفتُ من النّساءْ . . .

عذر السيول بأنّها لا تملك الحقّ

الذي تختار فيه مجيئها

ومكانها وزمانها ومصيرها

ومصير من تأتي عليهِ

وتتقي ما قد تسبّبُ من شقاءْ . . .

أو تملك التّمييز بين النّاس

والأشياءْ . . .

قدرٌ عليها أن يكون لها ضحايا

ما فررتُ . . .

لأنها لا ترحم الجبناءْ . . .



دمشق ١٩٩٩

علا عذرًا تأخّرت ...

صاحبٌ أنت يا قلب

من يبصرُ الآن وجه عُلا فيكَ

أو من سيكتبُ في ضفتّيكَ

عُلا أولّ امرأةٍ عانقتها الرياحُ

لتولدَ أولّ وارفةٍ في مهبِّ الهواءِ

وأولّ أنثى تفتّح وردًا وتسري نسيمًا

وفي كلِّ حالاتها لا تسير بلا هالةٍ أو ضياءٍ

ولا يتذكّر غيري بأنّ علا

خُلقت لتكون علا

أو تكون جمالاً

وهذا الذي فرَّ من يدها قمرًا لا هلالاً

وذاك الذي انداح من ثغرها

صوت نايٍ بعيدٍ وليس نواقيسها

من يراها على ضفّة النهر

كيف يكذّب عينيه حين يرى ظلّها

في السواقي

وكيف يكذّبني؟

فأنا ما رأيتُ علا نجمةً

بل شموساً تدورُ بأفلاكِ روحي

وآياتِ حسنٍ يوزّعها الربّ بين النساءِ

علا لا أحبّكِ لو لم تكوني

البلاد التي قدّمتْ للحياةِ عرائسها

أضحياتٍ

ولو لم تكوني التي تخرج الآنَ

من ظلمات العصورِ

فمدّي يديكِ

ارشديني إلى أيّ مئذنةٍ
لم أكن صيحةً في حناجرها
أو إلى أيّ مرتفعٍ
لم أجلجل بصوتي عليهِ
خذيني إلى أيّ ناقوسِ ديرٍ
غفا دون وجهي لأوقظه
كم قصدتُ شعابًا بمكّة
تعرفني من ألوف السنين
وكنتِ الشّبيهة فيها
لمن وأدوها مراراً
وكم جئتُ من عدنٍ دون جنّاتها
لا فراراً من القحطِ أو من خرابٍ
ولكنّ فئران مأرب كانت
تُدجَّنُ تحت ثيابي
إلى أن فقدتُ صوابي

وكم جئت للقيروان مع الرّيح

كيما يعلّمني عقبة

كيف تُبنى المدائنُ

في الرمل أو في المحالِ

وكم جئتُ خوفو وغافلتُه

لأحبّ صعيديّةً

تتعلّم منها الشواديف كيف تدور

على محورٍ أزليٍّ

وتصنع تابوتها بيديها

وكم جئت دار السّلام لأسبح

في نهرها فخرجتُ مُحنّى

قصدتُ أرى قاتلي يفتح أبوابها لهديلي

فحنّى يديّ ليبدو قتيلي

وكم في الجنوبِ غفوتُ

وصيدا تهزّ سريري

وكم تحت ليمون يافا مشيتُ
وكان التراب دليلي
لضوءٍ على القدسِ
قنديله يرضع النّورَ
من صدر زيتونةٍ في الجليلِ
وصلتُ إلى أملٍ ممكنٍ
قبل شمس المغيبِ
وتهتُ لأدخل في الصعبِ والمستحيلِ
وكان الذي أذّنَ عند الغروبِ
دمي ورفاتي
وذاك السواد الذي يتبخّر
بين المحطّات وفوق الرمال حياتي
وشاهدتُ خيل الصعاليك
في شفقٍ شاهقٍ بغبارٍ كثيفٍ . .
تهلُّ علا وتلوح ضفائرها

في ذرًى كان سيزيف يحمل صخرته

جبلاً من غيومٍ

يجلجلُ رعدٌ بروحي

ويلمع برقٌ

أعودُ من الموت أشفي غليلي

وعذراً تأخّرت

لكن أتيت . . .



كانون الثاني / ٢٠٠٠

سارق النّار

لن أسمّيكَ أسطورةً
أنتَ لصٌّ عريقٌ
فناري من ألف قرنٍ
أخبّئها تحت رمل جراحي
وجئتَ علانيةً
حين كنتَ شتاتا
وكنتُ جهولاً وكنتُ غبيّاً
وأنا لا أبالي بما تفعلُ فيّا
ولا أعرف أنّي أنا
من تؤرجحه
ومن يتشيّأ

وأنّي أنا من عصيت إلهيَ

لمّا اصطفاني نبيّا

وأني أنا من خذلت أبي

وخذلتُ جدودي

وكذّبت ما كان يزحف من شجرٍ

وكابرتُ أنّي الحديد المحمّى

ولم أكوِ جرحي

فظلّ ينزّ

وما زال دودك ينغل فيه

وسوسك ينخر فيه

وعلّقتني من وريدي

على نخلةٍ لا ظلال لها

ومساميرك السود

في أكفّ يديَّ

وفي قدميّ

سأنهض بعد الذي قد جرى

والذي في الأعالي تراه النّسور أرى

في الرّماد بصيصٌ لجمري

وهذا الحديد الذي فيه قيّدتني

يعتريه الصدأْ .

فهنا

وهناك على قلعةٍ في الذرى

تتجمّع أيدي سبأ . . .



دمشق / أيار / ١٩٩٩

نشيد ذلك الرجل

كانت لنا الأحلام عشناها

و«أورفيوس» شدّ خيوطها

وتراً وموسيقى

وخبّأها نشيداً كي تغنّيه العذارى

كلّما حبُلى

يعذّبها مخاضٌ أو يراودها صراخٌ أو بكاء

أو إذا ارتكستْ نجومُ

حليبها وحنينها

بعد الولادةِ

أو إذا ناء الرجالُ بحمل صخرتهم

وطير الشّوقِ أتعبت الرياح جناحه

فطواه

يا أحلامنا كلّ الدنان مليئةٌ بالحزن

والآلامِ والآثامِ

ما من نخلةٍ إلاّ وفرّت من أياديها

أصابعنا إلى واحاتك الخضراء

تبحث عن مياهٍ كان زمزمها

هو الأنقى

وكان خريره الوثنيّ ودّعنا

لنرقى ذروةً منها

نطلّ على المدى

وبها نعانق مايطوف من الكلامِّ المرّ

أو ممّا يقول الرعد حين يهزّ هذا الكون

للأيدي التي صارت مآذن

أو بروج حمائمٍ بيضاء

أنت حبيبتي القصوى

فلن أدع الرياح وعصفها
يومًا تهبّ على ثيابكِ
أو تعفّر بالغبارِ جبينك الملكيِّ
أنت حبيبتي القصوى
التي ولدت بلا دنسٍ
لأشربَ من ينابيع النبوّة ماءها
وأردّ عن دمها خطايايَ
وأغمض عن خطاياها عيوني



دمشق / تموز / ١٩٩٩

نهر الليطاني العاشق

لا وقت يسرق همسةً
مما يقول الماء للمجرى
ويرسم في دوائره الظلال
ويكتب فكرةً حيرى
ويمضي مانحًا للشوك
فرصته،
ليدمي السائرين
على عرجْ
أو ساخراً
من نار قطعان الهمجْ
يمضي ويعرف كيف يتّفق
اللصوص على انتزاعه

من حصاهُ
وكيف تنقضُّ «الحمائمُ» و«الصقورُ»[1]
على العصافيرِ الصغيرةِ
في مداهُ
وكيف يعبره الغزاةُ
إلى حماهُ
مغرّدًا يمضي
فما ملّ الغناءَ
ملوحًا بيدينِ محترقتينِ
ما تعبت يداهُ
مستصرخًا «زبقين»[2]
مجترحًا فتاها
من حرائقها
التي امتدّت إلى أحلى زهرْ
يمضي . .
وينسج من شعاعِ الشمسِ
أرديةً ملوّنةً

---

(١) ثنائي السيرك السياسي الإسرائيلي . . .
(٢) قرية الشاعر شوقي بزيغ في الجنوب اللبناني . . .

لأجسادِ الضفافِ
يصبّ مَن دمه
بأوردةِ الشجرْ
وبريشةِ العشّاقِ يرسمُ
ألف دائَرة احتجَاجٍ
حين يشرب جاحد منه
ويلقي في حشاشته حجرْ
ويشدّ أوتار الحريرِ
يصير أسرعَ في السيرِ
يصيرُ أغزر في اللهيبِ.
وفي السقوطِ
وفي الصخورِ
ويفتح العينين أكثر
في الخطرْ . .



خيزران صيدا ١٩٩٧

معصية الجنون

تمضي بأوردتي شموسكِ

أرتدي ما يجعل الذوبانَ

معصيةً . . .

ويصنع للحرائقِ

ماءها ورمادها . . .

أمطار عينيكِ

أهازيج النّدى

تلك التي حملتْها

أزهار الهوى

كيما أعيد لصحو عمريَ

برقه ورعوده

ويكون لي - حتى العبادة -
وجهةٌ ما فيها غير وجوهك الشتّى
وغير نثار توبتنا
ورمل قد حملته
ذات تاريخٍ على قدميكِ
كيما تزدهي سجّادة الصحراء
بالحنّاء . .
ما في الوقت متّسعٌ
لأبكي ما تشيعه الرياح
من الجنازات الحبيسةِ
بين ظلّي والمرايا
كان يكفيني لو أن الوقت
في مرمى يديّ
خطيئة التفّاح
أو لمس النوى

المرتدّ دمعًا مما تخنقه

خلاياكِ الخجولةِ من يديَّ

ومن عيوني، أو رياح

جنونك العذريّ

في مرآة روحي

إبرة في الرمل

كم أحتاج من وقتٍ

أفتّش فيه عنها

أو أفتّش في حناياه المريرة

عن جنوني . .



دمشق ٢/٣/٢٠٠٠

شيطان الهواء

للهواء الذي «يتزعرنُ»

أو «يتشيطنُ»

بين الأزقّةِ

أو في الشوارعِ

حين تمرّين فيها

ويعرف أن شبابيكها

والمرايا التي علّقتها

النساء على الشرفاتِ

وأشجارها

ورذاذ الندى

تتماهى بظلّك

دون ظلال النساءِ

فيهرب في شعركِ

أو يتخبأ تحت قميصكِ

أو بين نهديكِ

أو يلعب لعبته

فيري الطرقات بياضكِ

هذا الذي كحقولِ الأرزِّ

الذي تنحني كي تلملمه

من مداكِ

عيون الرجال

وكالثلجِ

حين العواصفُ

تذروه فوق السفوح

الجبالُ

فكم في الليالي

بترتُ يديَّ
وسرّحتها في الأثيرِ
وأرسلتُ عينيّ
تحملهما ما تكاثر في غابتي
من طيور إليكِ
لتقطف زهرة بابونجٍ

أو تهزّ غصونكِ
أو تتمرّغ فوق ضفافكِ
ثم تعود إليّ
بكمشةِ توتٍ لأعصرها في دمي
أو بتفّاحةٍ
للهواء الذي يتعلق
تحت شهيق ثيابكِ
أو يتدحرج خلف خطاكِ
بكامل غيرتهِ

من حفيفِ الثيابِ

الذي يعزف شوقيَ

لامرأةٍ لا تجيد التمنّعَ

ضحكتها،

وبكاملِ أشواقهِ

للّحاقِ بنخلتها . .

كان ما كان . .

ساد الهدوءُ

وكان على الأرضِ

خيط دماءٍ

يقود إليهِ

وقهقهةٌ عذبةٌ

فيها رائحةُ الذكرياتِ

العقيمةِ

كان تأسّيهِ متّشحًا

بالسوادِ
وكانتْ دموعُ الهواءِ
تسيلُ على خدٍّ خيبتهِ
وانطفأتْ في المعابدِ
نيرانهُ
وامّحتْ في الدروبِ
معالمهُ
للهواءِ الذي أتعبتهُ
الفساتينُ،
تتعبهُ في الوداعِ
المناديلُ
يتعبهُ مركبٌ ضائعٌ
في المحيطِ
ويتعبهُ هودجٌ
ضائعٌ في السرابِ

وتتعبهُ امرأةٌ
كلّ حوّاء في دمها
تتقلّب من أوّل الكونِ
وحتى السريرِ الأخيرِ،



دمشق ٣/٣/٢٠٠٠

كنتِ أنتِ ...

كنت أنتِ

التي سطعت شمسها

في دمي ذات يومٍ

وحطّت حمائمها البيض

في شرفة الرّوحِ

كم كان هودجكِ الملكيّ

بين طريق الحريرِ

وبين أقاصي البلادِ البعيدةِ

يمضي سعيداً

ويحمل عند الذهابِ النجومَ

التي كان يقطفها النّومُ

من سماوات حلمي
يزيّن كل القوارير تلك التي
عبّأتها بـ «دارين» أيدي جميلاتها
ثمّ عند الإياب تعودين قافلةً من بهارٍ
ومن القرفةِ أشجارها
قمرُ الشوق من فوقها يتدلّى
وعند ظلامِ الطريقِ يبدّد خوفي
وكانتْ
إذا تعبتْ خطوتي في المسيرِ
نداءات عينيك تكفي
ويكفي إذا ما استغثتِ
بأن دمي فوق كفّي
إذا كان من أجل عينيكِ حتفي
كنت أنتِ المنارةَ
في البحرِ
يوم المراكبَ شَدّتْ

إلى الفتحِ أعلى الصواري
وكنتِ إذا أظلم الليلُ
أبهى النجوم الدراري
وكنتِ شموس النهارِ
وكنتِ المؤذّنة الأولى
إذا استغرق القوم بالنومِ
كنت الجدارَ لظهري
اللهيبَ بناري
لم أَضِعْ حين كان يأخذني الموج
في بحركِ اللامتناهي هنا أو هناك
ولو نجمة من مداري . . .



جبلة / ٢٠٠٠ /

رنين الخراب

كلّها امرأة

مطعّمةٌ بوشم قبيلة

مغنّجةٌ بربابة

وسامبا

وبكريستال ملفوفةٍ كعروس

خزفها . . .

تحت ضربة شمس

يشرق خجولاً

حلمها . . .

يركض إلى الباب

ويعود ليختبئ تحت

تنّورتها . . .

بعد أن تُضاء عتمتها

تلد التوائم

واحد للبطاقة العائلية

وآخر ليموت جنينًا . . .

كلّها امرأة

في فمها شاراتٌ ضوئية

لاتضيء الخضراء إلا لرنينٍ

ما . . .

تقطع مسافاتٍ وفيرةٍ بالحلم

بروقها وفيرة بالبهجة

تزوغ بهجتها على الدرج

تتعثّر بخيوطٍ لا تراها

يختلُّ رنين خطوتها

تلتحم بالحياة من جديد

كما لو أنه لم يهتزّ عرشها

كما لو أن آلاف نوى العتمة

لم تبدِ استعدادها

لتكون من سكّان هذا

الكوكب . . .

. . . .

كلّها امرأة

كالجراد . . . نعيث فساداً

بشجرها الواقف

وسهولها المنخفضة

ننتهك كونها

نحتلّ عالمًا لا يليق بنا ولا ورقته الرابحة مغرية

إلى ذلك الحدّ

نطبّل ونزمّر

في أفراحٍ ليست لنا

نلعن ركام أزمنةٍ

نقّب هذا الركام . .

مثلي . .

تكتشف أنك لم تعانقها كلّها

ولم تخاطبها كلّها

تكتشف أنك لم تستطع أن

تردّها عنك

أو تدعوها إليك

أو للاشَيء

. . . .

كلّها امرأة . .

استمع لها مرّة واحدة

لتكون رجلاً بسيف

أو . . بقرنين

سح مجنونًا من أجلها

بهالةٍ من معلّقات وملاحم
تسألك شريط «كاسيت»
أو تنهمك بتقليم أظافرها
أو . . .
كلّ العالم لها
كلّك لها
بانتصاراتك
وبحروبك الخاسرة . . .
ولها إنانا وأخواتها
ليكون لها رجال الأرض
الفحولة والدّهشة والفنّ
أنت في القائمة
مهما بالغت
وأنا
ومن ولّى

ومن سيأتي

تنسحب من فضاء الآخر

الخشن

لتركن في فضائها الخاص

المخمليّ

لو مُنحت فرصة لتخرج من

أنوثتها

لعادت لها حين ترى

الرجولة

فضفاضة . . .

تحتمل كلّ شيء حتّى خيانة

مُثُلها

من أجل لا شيء أحيانًا

من حواءَ إلى ب . ب

تلاعبك بورق الشَّدة لتغشّ

مع كلّ هذا

بصابونة ركبتها

تغسل أشياء كثيرة

ذنوبًا

عفنًا

ضمائر

برغوة لا تراها العين

تزيد سرعتك إلى حدّ التهوّر

تمنح غليانك فرصةً

لتبخّرٍ طويل

لا تستطيع الإفلات من

تنّينها

تنضجك على نارها تسعة

شهورٍ دهريّة

وتبيعك في سوق الرقيق

إذا جاعت

أو قطعة قطعة فلا تحزن

وقد باعتك بالجملة منذ

خلعتها عن عرش الكون . . .

. . . .

كلّها امرأة . . .

ومن أجل أن تكون فراشة

تشتغل بنسج أجنحتها

العمر كلّه

وتشغل معها العالم

بدءاً من أمّها

وانتهاءً بالأقمار الصناعية

قد تكون هناك في آخر

الأرض

دبّابة تحترق لتضيء لها

ممراً سرّيًا

أو بئر نفط يغسل جوربها

لا ليصبّ في جعبة وطن . .

. . . . . .

كلّها امرأة . . .

ليكون لك دزّينة أطفال

آخرها في بيت النار

حين يلتمع نصل أمام عينيها

تنسى أن الكون

أصيب بالتخمة

وأن رغيف القمر

لايضيء ليل الأفواه الجائعة

وأن سنابل الشمس

تحت رحمة البورصة

تماماً كأشباه الرجال

في كل مكان

تمامًا كرجال التسويات المذلّة

تمامًا كقبّعات تُخلع بهدوء

للتحيّة حول الطاولات المستديرة وغير المستديرة

تمامًا كقفّازاتٍ لا تضرب بوجوه

تمامًا كجلود الأحذية . .

. . . . . .

كلّها امرأة . . .

لا تتّسع ولا تنتشر إلاّ لرنينٍ ما

عصيّة

عتمتها لاتضاء إلاّ لرنين

بعد أن سرقها الفقر والدول

العظمى . . .

وإقطاعيات الرنين

في العالم الثالث من حلمها . .

رنين الأشياء

يجعل الرجل أكثر حنكة

أكثر حكمةً

أكثر تعقلاً

وربما

أكثر انصياعًا

والمرأة

أكثر إضاءة

يغرّد الرجل لما في القفص

من ذهب

يتآكل ويتداعى

والهرب في دمه

أقمارها

لها قضبان سماء

أو قضبان سجن

تتّسع المسافة بينها وبين ب . ب

ب . ب تهتم بالأليف الوفيّ

وهي لها مجهول محلّ الإقامة

حسب تكاثر هذا القبيل في الصحف . .

. . . . .

كلها امرأة . .

ولأكون نجمًا

يجب أن أنطفئ أولاً

لأكون «خمس نجوم»

مهلة عام على الأقلّ

لأتعلم القتال بالشوكة

والسكّين

لأكون كما ينبغي ! !

لابدّ من زلّوع الإعلانات

لنلتقي . .

غبار الأيام يعمي العيون

بصيرتي وحدها

ترى الألوان كما هي

هوايتي الجديدة الأبراج

كفّة الميزان لم يطبّشها نحولي

المرير . .

. . . . . .

كلّها امرأة . . .

كلّها ثمرة محرّمة

حسبما تقول الكتب المهرّبة

عبر الحدود

كلّها فتاة غلاف

مندثرة

في حالاتها

ترتفع

فوق سرير الشوق وسرير الشرق . . .

المرأة الأكثر شيوعًا . . .

المرأة التي كانت أكثر شيوعًا

لديّ من امرأة أخرى

جاءت مرّة في غاية الاندلاع

وانطفأت فجأة

هي لم تنطفئ تمامًا

ولم تندثر في رمادها

كان ثمّة جمرٌ يبصّ

ويحرق الأخضرين

. . . . . .

كان عليّ أن أبدأ بشيء محدّد

غير قابل للمناقشة

غير قابلٍ للأخذ والردّ

ربّما لم أكن غوّاصًا كما يجب

فخرجت دون أصدافها

لم يكن أمامي سوى الهاوية

فسبقتني إليها

وتعادلنا

. . . .



دمشق / ١٩٩٧ /

ثعالب الوقت

أتناسى الحكاية

والمسطرة بيد لأقيس قامتي

والمرآة بيد لأتفقد وجهي

ثعالب الوقت تسرق كروم الخريف

والحبر المشتعل يحرق آخر الورق

أهرب إليها كلّما يلاحقني موتي

وما أكثر موتي . . .

كلّ مساء . . .

تنهمر عليّ

بكامل صوتها

أو هكذا كانت

وبكآباتي اللانهائية

وبفرحٍ قليل

وباستعدادٍ بطوليّ للحزن

لأدنى سبب أحبّها

لأوهى حجّة أتعلّق ببياضها

أهرب . . .

فأتلقّى رصاصها البعيد برأسي

أصحو على محرّماتها

في شوارع السّقوط.

لأدنى سبب أحبّها

وأتعلّق بحبال صوتها

في الشبهات

وبصهيلها الذي يكرّر الهواء . .



دمشق / ١٩٩٩ /

فراغ

بكلّ امتلائي
لست أكثر من ذرّة في هذا الكون
اللانهائي
بل لماذا هذا النفي؟
فأنا بالذات أحرقت بيديّ الاثنتين
وأنا بكامل وعيي
أوراقًا كتبتها بملء رغبتي
كتابات فاضت عن امتلائي
أطقطق فرحًا أصابعي ذاتها
التي في طفولتي كانت خشنة أكثر مما يجب
لم تكن شمعيّة مدلّلة

كانت تذهب منذ مطلع الفجر
في جيوبي إلى الحقول
أو توجّه مقود الدرّاجة الهوائية
أو تشدّ رسن حمارنا الأغبر
أو تشاكس قرني خروفٍ نطّاح
لا يدري لماذا نعلفه!

. . . .

ألوي عنقي ذاته
عنقي الذي يصل رأسي بأعلى الصدر
عنقي المتمرّس على الدوران حول محوره
بحركته نصف الدائرية
والانحناء نحو الأسفل وهي أكثر حالاتها
عنقي المربوط بحبال لا أراها

. . . .

أهرش بأظافري ذاتها
جلدي النّاعم الذي ظلّ غضاً
ولم يخشوشن رغم كلّ توصيات الأنبياء

جلدي الذي لم يُتمسح ولم يتحرشف
أو يتشعلب رغم الأعماق
ورغم الغابة
بأظافري ذاتها التي تُقلّم
حتى أذهب إلى المدرسة راضيًا مَرْضِيًّا
وحتّى لاتتكاثر تحتها الأوبئة
وحتى لا أطيلها فأخنّث
وحتى لا أحكّ جلد أحد . .

. . . .

أجوس بعيوني ذاتها
أماكن الحلم والرغبة والدهشة
أما كن الحضور والغياب
أما كن الانسلال والانسلاخ والاستنساخ
والشروخ والانهيارات والدم
وأزمنة مجد القوّة
ومجد العنف
أزمنة طبق الأصل عمّا كان

وعمّا سيكون
أزمنة لا يُبكى عليها
أزمنة لا يُفرح بها
أزمنة عالم رمادي
وأيدٍ حديدية

. . . .

أصفٌ بالدور منتظراً قبض الريح
رغيف أحلامي

. . . .

وهناك الكثير مما أقوله عن جبيني ذاته
وخطواتي ذاتها
وصوتي ذاته

. . . .



ريف دمشق / ١٩٩٩ /

يا شيخ

بعض الوعد بالسعادة يا شيخ
من حُرم الدنيا هل يُحرم الآخرة يا شيخ؟!
أنا قلق يا شيخ
كانت لي أخطائي التي لم توازِ حاجاتي
فهل أدخل جهنم حقًّا؟
هل أدخلها مع الذين غيّروا طعم الخبز
وطعم الماء وطعم الهواء؟
مع الذين يركلونني في ظهري
مع الذين سرقوا بساط
الحياة من تحتي؟!



أشرفية صحنايا / ١٩٩٩ /

خلل ما !!

حين لاتتذكّر اسم صديقك

إذ تلتقيه

حين تكلّم نفسك في الطريق

حين تشيخ مبكّراً

وتصفرّ أوراقك في عزّ الربيع

وتغدو حكيمًا قبل الأوان

حين لم تستطع أن تضيف حاسّةً

أخرى لحواسّك الخمس

أو حين تُشوّش واحدة من هذه الحواس

حين تنهار فجأة بلا سببٍ واضح

حين تشعر بأنّ حياتك خواء

وبأنّك بلا معنى

وبأنّك لا تصلح لشيء

وبأنك رقمٌ زائدٌ

في التعداد العام

وكنت تعتقد أن الخلل فيك أنت

يكون الخلل فيك أنت فعلاً . . .

. . . .



أشرفية صحنايا / ١٩٩٩ /

الحب حروب جميلة

الحبّ

حروبٌ صغيرة على الأرض

عهودٌ ومواثيق كلّها كلامٌ بكلام

أكانت على الورق أم كانت

في الهواء . . .

هي التي لا شهود عليها

ولا أختام

ولا تواقيع

وكلّ ما عدا ذلك انتهاك للحب

وإلغاء للحب

الحبّ

حروب جميلة على الأرض
كم من حالاتها خلّفت آلاماً وثارات
لا حدود لها
كم تركت من ذكريات للبشر
أحبّ إليهم من ذكرياتهم . . .
بقبلةٍ
بوردة
بابتسامة
بصفعة
تنتهي الحرب أو تبدأ
بأدنى شرارة تشتعل من جديد
وبالتفاتة تهدأ . .
الحبّ
عالم يتزعّمه المعدم الراحل
«فالنتاين»

رعيّته الكل بلا استثناء

لا سلطة له على أحد

لا ينوب عنه سوى الحب نفسه

وهو الأقوى

ومنه الثواب والعقاب

الحبّ

أتعس حالاته، العودة من الحبّ

المنتصرون منهم والمنكسرون

بكلّ أسف

وبكلّ تشفٍّ أيضًا

هم الغالبية العظمى

. . . .



بكلّ أسف ...

أحبّ الحياة

وبكلّ أسف

الحياة لا تبادلني الحب . . .

وباختصارٍ شديد هي لا تحبّني

حبّنا من طرفٍ واحد

أدير لها وجهي

تدير ظهرها

أعانقها

تمنعني عنها

تريني الأشياء

وتعطيني أردأها

الصحّة . . .

وآلاف الفيروسات

العمل . . .

وآلاف المستغلّين

الباب . . .

وآلاف الأقفال

المال . . .

ليركض أمامي

الرّغيف . . .

لأركض خلفه

الحياة . . .

ذكر بصورة أنثى

يفضّ بكارة الأشياء

بكلّ أسف . . .

لا تترك الحبل على غاربه

أتمنّى لو ترخيه يوماً واحداً

لتتيقّن مما أقول . . .

ملايين الأقفاص الذهبيّة
ستغدو حطاماً
بكلّ أسف . .
الحياة
عاهرة تنادي بالشرف
ذئبٌ يرعى القطيع
مع كلّ ذلك . .
أحبّها . . . وبكلّ أسف . .
لا تحبّني
يدها لا تُمدّ لضعيف
قرشها لا يُقدّم لمحتاج
كم جاءت تبكي
لكن بدموع تمساح
محنّاة اليدين
لكن بدم القتيل
. . . .
نعمتها . . .

قلقنا الجميل

نسهر

نعدّ النجوم

نحلم

نسطو بأحلامنا على ما ليس لنا

من كنوزٍ ونساء

نعمتها . . .

أنها لا تحاسبنا على أحلامنا

وإلا لامتلأت السجون

ونُصبت أعواد المشانق

تحت كلّ نافذةٍ

وعند كلّ منعطف

نعمتها . . .

أنها تدعنا نلفّ وندور

كيما نبرّر أخطاءنا

أو نبرّر أخطاءها

أتمنّى

أن تفتح شمسها مرّةً واحدة
على مداها
لترانا كيف سنحترق . . .
هي لاتفتح شمسها
ذلك لنحترق ببطء

. . . . . .

اللعينة . . .
تعرف أنني لا أستطيع إلا أن أكتب
كلّ ليلٍ تضغط عليّ وتعصرني
ليخرج من أصابعي قلماً وورقة
وفنجان قهوة
وسجاير
لتمتلئ غرفتي بدخان
تقف على كتفي
أو تطلّ من ياقتي
أو من خلف ظهري
لتتصيّد ما أشطب

أو تسبقني إلى المحرقة

لتسرق ما أمزّق

لتحولها حين أنام

إلى كوابيس

وتصنعها عند الصباح

ابتسامات متبادلة

مع الزوجة والأولاد

مع الأصدقاء والجيران

مع زملاء ورؤساء العمل

ومع مسؤولي الأقسام الثقافيّة

في الصحف .....



دمشق / ٢٠٠٠ /

من هنا كانت تمرّ

من هنا كانت تمرّ

بكامل عذوبتها

كساقيةٍ غادرت للتوّ

مياه النبع . . .

هنا انطفأ بعضها

ومن هنا ما يزال بعضها الآخر يمرّ . . .

. . . .

ومن هنا كانت تمرّ . . .

كم دارت حول محورها

مثل لولب . . .

كم طحنت مع حجرها الآخر

حبًّا فارغًا . . .

كما ضاعت كما تضيع إبرةٌ

من يد عجوز

كم سقطت كزرّ قميص . .

كم تلاشت مثل ضحكة باهتة . . .

. . . .

من هنا كانت تمرّ . . .

كلّ شيء تغيّر فيها

إلاّ قلبها الذي ما يزال ينبض بقوّة

وأحلامها التي لا تموت . .



دمشق

كلّ ليل .....

كلّ ليل

يأتي قمرها إليّ

بجرّة نبيذ

وعاصفةٍ بحرية

وزورق نجاة

وتلويحة يدين كالبروق

وكآبات لا نهائية

كلّ ليل . .

أتلقّى قافلة

محملةً بصدف

ومرجان

وإسفنجة لأمسح طاولة الكآبة

ورغبات امرأة بعيدة

ترتدي غيومها البيضاء

وفيها شيء من جبل

وغابات

وبحر

وعالية مثل سروة لا تعرف نقّار خشب

ولا تهبّ عليها الخماسين . .

كلّ ليل . .

أكون انتظرت نهاراً كاملاً

لأشرب صوتها

المختمر بشجن

المتكسّر في المسافات

إلى أحزان صغيرة

كلّ ليل

يخرج قلبي ويفرّ في الأثير
ويتركني وحيداً
وفي الرجوع
يطبّ على وجهه وينام .
كلّ ليل . .
يأتي طيفها إليّ
نيابة عن امرأةٍ أخرى
بلا رجل إلاّ ركوة قهوته
ولا أولاد إلاّ ضجيجهم
ولا ثياب إلاّ ألوانها . .



قبالة البحر .. صيف ١٩٩٩

هي أنتِ

هي أنتِ

التي تماهينا فيها معًا

وصرنا واحداً . .

في الذهاب كنّا اثنين

وفي الإياب عدنا ثلاثة

يومها اقتربت السماء كثيراً من الأرض

يومها تلبّس الشيطان

تفاصيلنا الصغيرة

يومها سمّينا الأشياء بأسمائها

تربّص بنا الزمن

داهمنا . .

نسينا تفاصيلنا الصغيرة

نسينا أسماء الأشياء

وبقي الشيطان . . .



أشرفية صحنايا / ١٩٩٦ /

أطرد ظلّي

أطرد ظلّي فيتبعني

لم يصدّق أنني ظلّ لآخر

لم يصدّق أنني شبيهه .

في الظلام . .

وفي الطبيعة المكتئبة

لا في كل الحالات المماثلة

يتركني

وحيداً

ويَمضي . .

. . . .

كم من الطلقات الخطّاطة

يلزمني

لأصفي الحساب مع الخوف

المختبئ

في عتمة

القلب . .

وتحت عظام الجمجمة . . .



وأنا طفل

وأنا طفل . .

كانت أمي تقول لي

عند طلبٍ مستحيل :

«عليك بمطرود النقا »

كبرت وعرفت أن مطرود النقا

هو جدّي الفرزدق

عرفت أن امتدادي إلى ذلك

الرجل الذي جدعه جرير

. . . بشعره

وإلى ألف فرزدق قبله

عرفت الجذور الأولى

البذور الأولى

الأرض الأولى

الجنّة الأولى

وحين تسلّقت الأشجار عاريًا

وحين كنت غبارًا كونيًّا . . .



بائع جوّال

ارفعي ملاءتك يا دمشق

واتبعيني إلى الضواحي

لتري من منّا يناصبك العداء

فكلّ ما أبيعه لك من نعناع

ليس نظيفاً

صدّقيني . .

. . . .

حين تعودين . .

إن بعض الوجوه التي ترين

ليست وجوهاً

إنما هي أقنعة . .

. . . .

تغريني دمشق أن أعانقها

نهاراً

نهاراً فقط . .

. . . .

هي في النهار لي وحدي

. . وفي الليل

لا أدري!!

في نهار مشمس وحزين

كان ثمة ترقب يوحي بالموت

وضحى نهار

يمتد إلى شواهد قبور

لا حصر لها

ولقاء أول وأخير

وبياض يملأ المكان

وعينان ترسلان شيفرة ملتبسة

لم يكن من الصعب حلّها

وعذر مبهم

أحدنا هبط الدرج

إلى عالم سفلي

فحاولت «أرتيميس[*]» الإجهاز عليه

بحربة ضارية

تشبّث ببياضٍ من أخيلة

خذله البياض

فغادر المكان ليموت وحيداً . .



(*) أرتيميس: إلهة العالم السفلي (أسطورة يونانية).

ربابة نجم

ربابته

طفله المدلل

يضيع بكاؤه بين يديه

ربابته .

يسبقها صوته

المجلجل كالرعد

يغضبه صوتها الأجش شتاءً

ويفرحه في الصيف

شجنها الجارح

لأسأل :

من أين له كل هذا الفرح؟

من أين لربابته كل هذا الحزن؟

وكيف تغرقه في مدى الماضي

إلى آخر اليقين

بأن السيف أقوى من القنبلة النووية؟!



ليلة رأس السنة

الليلة . .

أتضوّر أشياء كثيرة . .

. . . .

. . . .

أتضوّر أصدقاء

أتضوّر تبغًا وكستناء

الليلة . .

تطاردني . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

كوابيس اليقظة

برد كانون

صمت المدفأة

هذه هي الحقيقة

أو هي نصف الحقيقة كما اتّفقنا . . .



ليت العالم

ليت العالم

كلّ العالم

يتعلّم من قرية «شقحب»(*)

القرية الصغيرة الوادعة

التي لا تعرفها الخرائط

إلا لماماً

كيف لا يختلف

وكيف لايعادي النساء

فهي منذ ربع قرن

(*) شقحب: قرية في ريف دمشق.

لم تدخل محكمة

ولم تُطلّق

أو تُزعل امرأة . .



/ ١٩٩٩ /

أرسان (مفردها رسن)

أقرضها كفأر عريق

كفأر مأربيٍّ

فيقردح لبلابها

ويتكاثر

ويمتدّ

ويمتدّ

ويمتدّ

ويلتفّ على القدمين

فالساقين

فالجذع

فالعنق . .

كلّها سلّمتني إلى المسنّنات والحواسيب

ودفعتني إلى زجاجةٍ شفّافةٍ

يضيق عنقها عليّ

زجاجة شفّافة لأرى العالم

زجاجة شفّافة لأموت غير آسف

على شيءٍ . .

إلاّ على ماينبغي أن يكون . .



/ ١٩٩٩ /

بياض ينتمي للفضيحة

قبل مئة عام

كان صوتي ممتلئًا

بخوار ثور

وعواء ذئب

وليل دامس

(الآن)، يستقبلني بفرح قليل

وبياض أقل

بفرح مبرآ من الفرح

ووقار صارم

ينوب عن الوداع

وحمام أبيض بلا أجنحة . .

. . . .

قبل مئة عام

كانت النهارات حقيقة

كونيّة ناصعة

الآن، تتخاطفها ظلامات تراها

وأخرى لا تراها

وأخرى لا تستطيع أن تراها

أنا وأنت في نهرٍ بشريّ

تصفعنا على أقفيتنا

أيدٍ نراها

وأيدٍ لا نراها

لنركض نحو بحرٍ ما

فيه من الحيتان والقرش

ما يكفي لكلّ ما في هذا النهر

من صخب

تستقبلنا بفرحٍ مجنون

وبياضٍ ينتمي للفضيحة . .

. . . . . .

قبل مئة عام

كنّا نحب الحياة

والآن . .

تحبّنا الحياة !!

. . . .



دمشق / ٢٠٠٠ /

مساءات لا تغري

مساءات لا تغري

لنحياها كما ينبغي

والعمر يسهرها مثل كلبٍ أجرب

وليلٌ يبادله صدى نباحٍ متقطع.

وأنا الليلة جثّة ليس أكثر

أضف لها منفضةً تمتلئ بأعقاب سجائر

وحلقات دخانٍ تكرّرت في رئة

ثُقبت لهذا الغرض

كلّ الحكاية أنّ غيابي مع أحلامٍ محطّمة

هو ما ليس له أيّ معنى

في عالمٍ سلّم رقبته

لأوباش هذا العالم

مشكلة أن يتحوّل العالم إلى قطيع من نعاج

أو إلى أسرابٍ من طيور الكوكو

أو إلى ديناصورات حتميّة الانقراض

أعقد العزم على النهوض

فأجدني ما بين مطرقة وسندان

أُعتصر . .

يُدقّ عظمي

بلا ألمٍ أهوي

منحتني الطاولة فراغًا لأمد رجلي

إلى فراغٍ آخر بارد

فيه رائحة قبرٍ مفتوحٍ للتوّ

على عظام منجلٍ ومطرقة

ومومياوات وفلسفات وشعارات

ويوتوبيات فاضلة وغير فاضلة

وبورصات تدار فيها الكوارث

وقوّادة تحكم العالم .

أمعائي تقرقر على برد وجوع

أنتفخ وأخرج

ما إن ترفع الجثّة بنطالها

حتّى يعود الكلب الأجرب إلى النباح

والفراغ وحده يبادله الصدى .

. . . .

❖ ❖ ❖

/ ٢٠٠٠ /

هذه الليلة

أنا الليلة لست أنا
قدّمت كل الاعتذارات
لكلّ الأنبياء وللربّ
طلبت الغفران سلفًا
أفلحت في تناسي ألمي
وكلّ مايدور حولي وحول حولي
منذ الصباح وأنا أستعدّ لمغادرة أناي
الليلة كلّ شيء على ما يرام
الساعة تتكتك في هدوء غامض وسكون مريب
وترقّب لا يمحى من الذاكرة
تأكّدت من أنّ الذي ضرب الموعد
وثبّته بالساعة والدقيقة والثانية

هو أنا، أنا بالذات
تأكّدت من أنّني أنا الذي اغتسلت
كما لم أغتسل من قبل
وأنا الذي فرش الطرّاحة المناسبة
في أرضيّة الغرفة
وأنا هو الذي اختار الوسادة
التي تتّسع لرأسين أحدهما يفوح بالعطر
والآخر مثقل بما لا يستحسن الوقوف عنده
في مثل تلك الليلة
تأكّدت من أنّني حلقت ذقني
ومن ثيابي الداخلية التي بدلّتها
بأخرى جديدة . .
تأكّدت من أنّني
أنا الذي أفعل كلّ هذا . .



/ ١٩٩٩ /

ماذا يهمّني لو كنت

ماذا يهمّني لو كنت لا أملك شيئًا

وهو أنا كذلك حقًّا

حيث لا عبوديّة

لا خوف

لا حسابات تدعو للقلق

لا أحد يقف ببابي ذليلاً

لا أحد يأتيني صاغراً

لا أحد أساوم عليه

لا أحد يساوم عليّ

لا أحد أجرحه

لا أحد ألغيه

لا أحد يلغيني . .

. . . .

قال لي :

« معك قرش تساوي قرشًا . . أتفهم؟ »

ولاعتبارات كثيرة

وكثيرة جداًّ

لم أفهم.

. . . .



/ ٢٠٠٠ /

يد الرغيف

البرّية مفتوحة أمام عينيّ
ليس إلى الحدّ الذي أرى فيه نهاية الأفق
ثمة أشجار بعيدة توحي بأن المشهد
انتهى عند أقدامها
وبأنّ الأرض كفّت عن الدوران
أتلفّتُ حولي
لأتيقّن من أنّني أقترب من « عين البيضا »(*)
بيوت أقل من عدد أصابع اليد
هي التي تقترب منّي بفعل رجلٍ أبحث عنه
رجلٌ مكتوم عن ١٣٧ عامًا(**)

(*) عين البيضا : قرية في ريف دمشق .

(**) أحمد العبود .

ممحوٌّ من دفتر الأيام

بيديهِ دفن ولده الأول الذي عاش تسعين عامًا

مخلّفًا زوجاتٍ وأقمارٍ وذكريات

كان ذلك منذ عشرين عامًا

دفن الثاني والثالث والرابع

ودفن جميع بناته ويقطع الـ ١٣٧

وحيدًا

ومغايرًا

يكسر القاعدة

يكسر وسطيّ أعمارنا

أعمارنا التي تتلف جزافًا

بما هو خارج عنّا

وبما هو منّا

وبما هو فينا

حجر أسود تحتي ليس له شكل الحجارة البريئة

فلربما كان وثنًا . .

ربما كان بعض جدار

أو بعض موقد

أو بعض معبد

ليس له شكل الحجارة الطالعة للتوّ

من الفرن الكوني . .

يُحتّ مثلي . .

ربما نحتته يدٌ من قبل

أو الريح

كما تنحتني الآن يد الرغيف

لأكون بكامل الجاهزيّة

لأدخل من خرم الإبرة إذا شاءت

أو أن يكون عليها سهلٌ حملي إلى أين تشاء

كما أنا الآن . .

أبحث عن رجلٍ في الـ ١٣٧ من العمر

وسأتابع البحث عن اثنين آخرين

زوّجتهما البداوة بالخطأ ذات يوم . .

كلٌّ منهما تزوج عروس الآخر

لا أحد يعرف أين أنا الآن تماماً . .

البريّة مفتوحة أمام عينيّ

ليس إلى الحدّ الذي أرى فيه نهاية الأفق . . .



ريف دمشق - عين البيضا / ١٩٩٨ /

لنعد للحديث عن الحب

لنعد للحديث عن الحب

فهو أسلم عاقبة

عدا عن أنني أستعيد توازني تمامًا

في حضرة الحب

يكفيني لأمتلئ حتى الجمام

أن أتذكّر رنين صوتها البعيد

أو أتخيّل صورتها لأقول جازمًا:

إنّ ملائكة السماء تبعث رسولاً

بين الحين والحين ليعيش في حومة البشر

أو أتخيّل خطواتها الصارمة في الطريق

وكأجنحة الفراشة وهي تتنقّل

ما بين الشرفة وغرفة النوم
أو أتخيّلها تعلّق ثيابها الثقيلة على جدار
وتلقي خفيفها في الغسيل
أو حين تتنهّد أمام المرآة
أو حين تطفئ النور فجأة
فترى بأنّ أنوار الشرفات والنوافذ
البعيدة لم تنطفئ فتشعل النور من جديد
ثم تنسى أنها ذات زوج فتحلّق بأجنحتها في
فضاء الحب وتصحو بعد نوم متقطع على عواء نهارٍ جديد . .



دمشق / ١٩٩٩ /

بودّي أن أقول لها

بودّي أن أقول لها :

كفاك سهراً

أطفئي النور ونامي . .

لا تدعي ملاك النوم

يغمض جفنيك

إني أغار من هذا الشيطان . .

وبودّي أن أقول لها :

ما بيننا

ليست هذه المسافة القصيرة

التي ترين . . .

إنّها أطول طريقٍ تمتدّ

من الجاهليّة إلى القرن الواحد

والعشرين



دمشق / ١٩٩٩ /

أسماء

أسماء أعلى من الذاكرة والزمن

وعناوين جمّدها صقيع الأيام . .

. . نصف قرنٍ إلا . .

خمسون صبيّةً

خمسون غزالةً

وولدان أحدهما أنا

خمسون نجمةً

خمسون شعلةً

خمسون دمعةً

كانت تكرج على دروب الضواحي

لتصير عرسًا يوميًّا في أحد معامل

حبيبتي دمشق . .

خمسون قيدًا . .

خمسون ملاءةً . .

خمسون برقعًا . .

خمسون حجابًا . .

يحملها نهر الضواحي

لتصب في بحر حبيبتي

دمشق . .

خمسون مومياء،

ما إن يغلق عليها باب المعمل

حتى تشبّ نار الحياة

فيها من جديد

وتندلع طيلة النهار . .

كانت المومياوات تخلع ملاءاتها وبراقعها

وأقنعتها وجلودها وقيودها

فتدبّ فيها الروح

وتبدأ رقصة العمل . .



/ ١٩٩٩ /

ترويدة لصهيلٍ يأتي ..

المدى . . . .

هو أنتِ ولا شكّ هذا المدى

منكِ يبتدئُ الكونُ

إيقاعه البشريّ

بأوّل حوّاء في الأرض

جاءَت بأوّل رقصةِ حبٍّ

لدنيا المخاض

وكان لصرختها البكر

أعلى صدى

أنتِ أوّلُ تفّاحةٍ

تتغاوى بها امرأة

جعلتْ من جحيم الوجود جنانًا
لتذوب الخطيئة
تحت لهيب اليقين
لتغدو هوايَ المقيم
وكنتِ النساء جميعًا
وكنتِ البلاد
التي سُوِّرت باللهبْ
وبماءِ الذهبْ
والتي لم تسمّ جزافًا
بلادَ العربْ
شمسها لا تطيق غروبا
وردها لا يطيقُ ذبولا
حبّك أقوى من الموت
عديني بألاّ أكون
عشيقًا ذليلا
أحبّكِ لا للتباهي

ولا للتماهي

ولا كي أضاهي سواي

ولا أتذكّر من ألف عامٍ ونيفٍ

بأنّي كما الآن أمشي

على حدِّ سيفٍ

ذراكِ التي سوف أبلغها

أنت فيها الينابيع

أنت الغيوم التي تحمل الرّيح

أمطارها في الفضاءْ

بيدٍ تسندين بها

خطوات الصعود إليكِ

لأبلغ أقصى جنوني

وأقصى الشموس

وأقصى الضياءْ

ويدٌ تسندين بها

فوق رأسي نحاس

السماء

فكم كان ينثرُ رملاً

زماني عليَّ

ليصنع صحراء

ما فيها غير الغبار

وغير الجراد

وغير السراب

وغير الخواء

وكنتُ مع الحلم

أزرع نخلا

وأستمطر الحزن ماء

ليركض زمزم

في ظمأي

ويحفر في القلب مجرى

إلى ما تبقّى به من دماء

أُناديكِ فأصغي إليّ قليلا

ففي كل كلّ واحاتكِ الخضر لي

أغنياتٌ ونخلٌ وريفٌ

وفي كلِّ ساحاتكِ البيض

يعلو نشيدي

ومازال للماء ترنيمه

الأزليّ

ومازال للقمح شقرته

المشتهاة

وللقطن وهج الشموس

وللغار أعلى جبين

ولمّا يزل

شبجر السروِ والأرزِ والسنطِ

فوق التراب يفيءُ

وفوق رفات الشهيدِ

وليس الذي يلمع

خلف السراب ببرقٍ

إنّها زرقةٌ

واحمرارُ عيونٍ

وعصفٌ أكولُ . .

المدى . .

هو أنتِ ولا شكّ

لَكَمْ قلتِ لي :

أنتَ أعمى . .

وعيناكَ لم تبصر الغاشيات

وكم كنتَ تبصر الوهم نُعمى . .

إلى آخر الشمسِ

دمعي يهلُّ

ولم تر غير جناني

وتفّاح خدّي

ودونك كان الذهولُ

وكان الصدودُ

وكان الشرودُ

وكم تحت أقداميَ

انساح خمرٌ

ودقّت طبولُ

وكم كنتُ أسمو

وكم كنتَ أسمى

لَكَمْ قلتِ لي :

لكَ أشجار قلبي وأزهارها

وبنفسج روحي وأحزانها

ولغيركَ ذاك الذي

لا أراه مهمًّا . . . .

لكَ شمس سمائي

وركضي على طرقاتِ

الرغيفِ

وفي حلباتِ الشرفْ

ولغيركَ ذاك الذي ينتهي

بصديد الترفْ

لكَ ماءُ الوجودِ

الذي يتوالدُ تحت ظلالِ

السيوفِ

وفي عاصفاتِ الشغفْ

ولغيركَ ماءٌ مهينٌ

تتأتّى به نزوةٌ أو صُدفْ

أنا خضراءُ هذي الفيافي

وتلك الجبالُ وتلك السهولُ

وعذراءُ

ما مرّغت وجهها

أبدًا للهوى

غصنها لا يميلُ

توارتْ عن الكلّ

حين رأت صافناتِ

حديدٍ محمّى

ليسمل أحلى العيون

وما كان ذلك وهمًا

وكان الذي يحمل الوقدَ

خالاً

ومن يشعل النارَ

عمّا

وكلّ الأيادي التي

فرّقتها على ألمٍ

في الظلام السيولُ

أتتني جميعًا تصولُ

وفوق دمائي تجولُ

وأغلى التراب

على شعلة القلبِ

راحت تهيلُ

فماذا أقولُ ولا حصر

للنائباتِ

التي كلّ يومٍ تحلُّ

وذاك الذي هو أعلى
من العدِّ والتسميات قليلٌ؟
اطمئني . .
أصيلاً سيبقى الأصيلُ
غداً، سوف يأتيك من
كلّ فجٍّ صهيلُ
فصبر جميلُ . . . !

❖ ❖ ❖

دمشق آذار / ٢٠٠٠ /

الفهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٢

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



سعر النسخة داخل القطر ١٢٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل ٢٥٠ ل.س